



في الأشهر الأولى لدخول حلب كانت معركة تحرير الكندي مكلفة، فقدنا فيها من احتسبناهم عند الله شهداء ولم نستطع من شدة المواجهة أن نسحب جثثهم. حتى صار تبادلٌ بيننا وبين النظام دخلت أبحث عنّ أعرفه بين الشهداء.

بينما كنت أتمعن في الوجوه المكسوّة بالدم والنور، سمعت الناس ينادون على شهيد يشمّون منه رائحة المسك، تيقنت أنه صاحبي وذهبت لأخذه. لما وصلت إليه وجدته شاباً في أول عمره مجاهداً مع فصيل من الجيش الحر، لو رأيته قبل المعركة ما عبّت به. تركته والناس متدهشة حوله وعدت أبحث عن إخوتي. الشاب الذي أحسّه شهيداً لم يتمتّ تبّهني إلى جثة الكبر التي في داخلي.

عدت إلى القرآن، وكم من يقرأ للمرة الأولى، قرأت: **"ثُمَّ أُورثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"**. ذلك هو الفضل الذي حرمنا أنفسنا من سعته بضيق تيارتنا وفصالئنا، الفضل الذي فاتنا لأنّنا اعتقدنا أنّ الطريق إلى الله حكرٌ علينا وأنّنا وحدنا الناجون إليه والمسايرون فيه. ينكسر الصف لما يظن بعضه أنه خيرٌ من فيه، وأنّ الآخرين عالة على الطريق يثقلونه هو عن بلوغ آخره. ما صرّت أعرفه، أنه لم يكن عالته إلا نحن، نحن الذين أخّرنا سير القافلة بحواجز وعرائق لم تكن كما ظنناها واجبة.

لعلّ اليوم ينبغي أن أعتذر: أعتذر للشهيد عبدالقادر الصالح، لم أفهم ما قال لي في يومه الأخير قبل استشهاده: هذه نفحةٌ ربانية فلنجرد فيها ونتوّحد، تأخّرنا يا حجي عن الاستجابة أخّرنا عن النصر. وأعتذر للشهيد الذي كانت رائحته أصدق من ظنوننا، عرفتني يا شهيد أنّ المسك ليس حكرًا على جماعتنا. وأعتذر للطفل حمزة الخطيب، ثورتك التي تركتها لنا كانت

بريئة مثلك، ومثلك لم تحتمل أن تحملها تعقيداتنا ومشاكلنا. وأعذر لأهلا، كنا بغورنا أضعف من آمالك. وللثورة التي لن تصل إلا بأن تعود كما بدأت، عفوياً يعقل الواحد فيها ولما تسأله المخابرات لما شاركت؟ يجيب: سمعتهم يقولون عالجة رايحين، فرحت معهم.

"ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين"

المصادر: